"كانت السماء زرقاء"

رواية واقعية

« ان هذه الرواية من اهم الروايات التي صدرت في ادبنا العربي حتى الان ، وهي احدى ملامح التحول الكبيرة الواعدة » .

صلاح عبد الصبور
من مقدمة الرواية

من بين الاعمال الروائية التي يبدعها جيل الشبان ، تظهر رواية « كانت السماء زرقاء » لاسماعيل فهد اسماعيل ، كاحدى العلامات البارزة في تطور هذا الادب ، واستقرار ملامحه.

وتغدو قيمة الرواية ، على صعيدي الفن والفكر، مضاعفة عند النظر اليها ، باعتبارها باكورة اعمال المؤلف العراقي الشاب . وبذلك تكون هذه الرواية اسهاما جادا وفعليا في مسيرة الرواية العربية الجديدة ، بشكل تتسع لقيم هذا الفن ان تتبلور وتغتني على يد الجيل الجديد .

ان ما يلفت النظر ، كون هذا الجيل ، قد وقع منذ أواخر الخمسينات تحت اغراء نماذج الفكر الفردي والمثالي ، وخاصة الفكر الوجودي. وقد قطعت النظرة الفنية اعمال هذا الجيل من مطلع الخمسينات ، واصبحت ملموحا بارزا واساسيا من ملامحه ، ولا زال هذا الفكر مائلا وقائما في ذهنية الكتّاب الشباب ، رغم ان اعدادا كبيرة منهم قد غادرته كطريقة تفكير ، ولكنه بقي موجودا « كمزاج » فني ووسيلة تعبير.

بينما اعترف البعض الاخر باولوية الواقع الموضوعي ، دون ان يصدروا عن قوانينه .

ان هذه الرواية تطرح ببناء فني لائق ـ رغم العثرات ـ شخصية تنتسب للجيل العربي المثقف ، الحالي . الجيل الذي لا يزال في قطاعات عديدة منه يمارس « الانسحاب » كموقف تجاه اشكالات الواقع ، وفي عين الوقت لا يتردد في الاعتراف بهذا الواقع وشروطه ، وبفصح عن عجزه ، او ضياعه في اجود الاحوال ، ازاء التحدي . مع الاحتفاظ بالاخلاص الذاتي والمراهنة عليه .

بطل الرواية شاب عراقي مثقف ، يعاني من اغتراب فكري وسلوكي . يثقل كاهله لدرجة ان يدفعه للهرب الى ايران ، و « يصادف » ان تكون هربه برفقة اشخاص آخرين ، في الظروف السياسية قبل عام ١٩٦٥ . الشاب المثقف لا اسم فني له (وهذا خطأ يفقد الشخصية الفنية ، خصوصيتها البشرية لحساب النموذج البشري العام) ، متزوج ، ويشكو من عبء هذا الزواج عليه ، الذي لم يختره . ولم يكتشف ازمته الا بعد مرور حوالي عشر سنوات على ذلك.

وقد تبين له في آخر الامر ان زواجه كان نوعا من اقحام علاقة بينه وبين انسان آخر ، دون اختيار واستجابة ذاتية وحقيقية . ورغم ان المؤلف لم يسلط ضوءا كافيا لتبيان اوجه الافتراق بين الزوجين ، واستحالة الاستمرار في علاقتهما ، الا ان مقدمات ذلك بدت واضحة وعلى شيء من الاقناع ، لسرعة اتصاله وارتباطه بالفتاة « ذات الثوب الازرق » التي تعرف عليها في احد اللقاءات العائلية .

لقد أراح المؤلف نفسه من تجسيد ومطاردة معارفة زواج البطل ، مراهنا على أن تلك ظاهرة منتشرة وملموسة في الواقع .

ولم يعط لنا المؤلف مجالا للاطلال على كل من عالمي الرجل والمرأة ، سوى في بعض الحوارات، التي تظهر فيها المرأة ذات عناد ساذج تتوخى امتلاك زوجها لها ، ونهاقتها الحزين على بقاء العلاقة . بينما بدا الزوج منفعلا عنها بصورة غير مقنعة . اذ لا يكفي رسم الافتراق الذهني والفكري بينهما ، طالما العلاقة البشرية تفسم ما هو اكثر واعقد من ذلك . غير ان سرعة اتصاله بالفتاة المثقفة وانفتاحه الفوري عليها ، قادنا واسعفنا للوغل في ازمته الشخصية .

ترسم المؤلف البعد الاساسي لأزمة البطل بالقول انه « هارب من كل شيء حتى من نفسه » ، من اقحام علاقة بينه وبين انسان آخر ، دون اختيار واستجابة ذاتية وحقيقية . ورغم ان المؤلف لم يسلط ضوءا كافيا لتبيان اوجه الافتراق بين الزوجين ، واستحالة الاستمرار في علاقتهما ، الا ان مقدمات ذلك بدت واضحة وعلى شيء من الاقناع ، لسرعة اتصاله وارتباطه بالفتاة « ذات الثوب الازرق » التي تعرف عليها في احد اللقاءات العائلية .

لقد أراح المؤلف نفسه من تجسيد ومطاردة معارفة زواج البطل ، مراهنا على أن تلك ظاهرة منتشرة وملموسة في الواقع .

ولم يعط لنا المؤلف مجالا للاطلال على كل من عالمي الرجل والمرأة ، سوى في بعض الحوارات، التي تظهر فيها المرأة ذات عناد ساذج تتوخى امتلاك زوجها لها ، ونهاقتها الحزين على بقاء العلاقة . بينما بدا الزوج منفعلا عنها بصورة غير مقنعة . اذ لا يكفي رسم الافتراق الذهني والفكري بينهما ، طالما العلاقة البشرية تفسم

السينما الفتية في البلدان النامية

كتبت وكالة انباء نوفوستي ، بقلم ناقدها السينمائي ارمين ميدفيدوف ، مقالا عن « الفن السينمائي في القارات المناضلة » ، ومما ورد في المقال :

« يحظى الفن السينمائي للقيتنام المناضلة باهتمام كبير . ويتمكس في افلام ستودو سينما الجبهة الوطنية لتحرير الفيتنام الجنوبية ، تاريخ نضال الشعب الفيتنامي الجنوبي . ان المنطق الذي لا يدحض لفيلم « اجبرونا على حمل السلاح » يكذب الافتراءات التي تدعي ان الثوار هم المسؤولون عن اراقة الدماء وليس المعتدون الاميركيون . وان اسماء الافلام « تحطيم القرى الاستراتيجية » و « الحياة في المناطق المحررة » والمجموعة الخاصة بالقصاء على الهليكوبترات (الموحيات) تتحدث بنفسها عن نفسها . وفي المهرجانات الدولية في موسكو ولايبزغ حصلت افلام مثل « اجبرونا على حمل السلاح » و « الفيتنام الجنوبية تناضل » و « ضرساب النار » على جوائز الشرف .

ان الفن السينمائي هو جزء لا يتجزأ من ثقافة الشعب كلها . وان طوره لا يمكن ان يتم بمعزل عن الجذور الوطنية والتقاليد الفنية ، وبتعهد عن خدمة المثل العليا الشعبية . ان القدرة على اختيار المواضيع الحيوية الهامة هو من مميزات السينما في افريقيا . وبالمقارنة مع بلدان القارة الاخرى فان الفن السينمائي المصري ليس فتيا ، فعمره اكثر من اربعين عاما. الا ان الفن السينمائي المصري قد ازدهر بصورة حقيقية (؟!) بعد ثورة ١٩٥٢ عندما استهدف خدمة الشعب (؟..) . وليس هناك فن يقف في القارة الافريقية على نفس مستوى فن الجمهورية العربية المتحدة ، لا من حيث عدد الافلام المنتجة ولا من حيث مغزاها الاجتماعي (؟) . وان فلم « جميلة » الذي يتحدث عن ابنة الجزائر البطلة جميلة بوحيرد وفيلم « البوسطجي » الذي اخرجه حسن كمال هما ظاهرة بارزة في السينما المصرية .

وقد حصل الفن السينمائي الفتي في الجزائر على نجاحات عدة ، بارزة . وقد انتج المركز السينمائي للشباب الذي اسس في « البيار » اول فيلم ملون في البلاد ، وهو الفيلم الوثائقي « الشعب سائر الى الامام » . وفي عام ١٩٦٦ انتج فيلم وثائقي هو « فجر المنبوذين » ، وهذا الفيلم مكرس لحركة التحرر الوطني . وتتحدث عن نضال الشعب الجزائري من اجل التحرر .

ويطرح امام سينما افريقيا السوداء الفتية ، سؤال ذو اهمية كبرى هو : « كيف تعيش هذه السينما » ؟ وتحل هذا السؤال نخبة المثقفين الافريقيين الطليعيين انفسهم الذين يشقون مع شعوبهم طريقا صعبا من « القديم الى الجديد » ، والى اقامة علاقات جديدة بين الناس ، والى نفسح الوعي الوطني والطبقي . ان العاملين الشبان في الحقل السينمائي الافريقي يعبرون في اعمالهم عن انفسهم بقوة متعاظمة . ويمكننا ان نورد كمثال على ذلك ، افلام السنغالي بن عثمان وهو احد افضل المخرجين في افريقيا . وقد اخرج فيلمي « ودوم ساربت » و « ذات الجلد الاسود من .. » وتتحدث هذا الفيلم عن مأساة انسانية سنغالية عادية ، وقد حصلا على تقدير عال في المهرجانات الدولية . واما فيلم « حوالة بريدية » المأخوذ من روايته التي كتبها هو بنفسه فقد عرض بنجاح كبير في مهرجانات البندقية وموتريال وفرطاجة وشتقند.

ويقول المخرج عن فيلمه : « هذا الفيلم يتحدث عن الواقع القاسي وعن خيبة الامال ، وعن المتاهات المعتمة للنفوس الانسانية المشوهة. وعلى هذه الارضية نلمس بوضوح التفاوة الاخلاقيه للبطل الرئيسي الذي تمثلت فيه افضل ممزات شعب السنغال » .

ان الفن السينمائي لبعض بلدان افريقيا السوداء ، هو الان في درجات متفاوتة من التطور . فبعض البلدان الافريقية الفتية تخطو خطوتها الاولى في مجال السينما . فمثلا فيلم « الغربة والمدينة » هو اول فيلم صومالي ، كان تناجا رائعا لابداع المتحمسين الذين لا يملكون فاعدة للانتاج الفني ، ولم يحصلوا على دعم من قبل المنظمات الحكومية . وان منتج ومخرج الفيلم هو حاجي محمد جمالي هو رائد للسينما الوطنية ومتحمس لها . ان هذا الفيلم ساذج ، ولكنه ملهم ومؤثر تأثرا حقيقيا ، وهو طريق كثير من العاملين في الحقل السينمائي ، الشبان في بلدان افريقيا واسيا .. » .

تانت السماء زرقاء
رواية

دار العودة بيروت

شارة المذبحة

شعر : محمد القيسي

اقول وبي هم جيل
وقدام عيني رف سنونو قتيل
الا انها شارة المذبحة
وان الاغاني ديباجة زائفة
وسيل الوعود ، كمائن للموجة
الزاحفة

قرات الكتاب من الافتتاح الى الخاتمة
وفاجات كل الشخوص بلا اقنعة
رايت تواقيعهم في سجل التهاني
انا كنت حامل اوراقهم
وكنت اصوغ الاغاني
ويوم تجاسرت ،

الفيتني خارج القوقعة
اقول وقد ايقظتني رؤى الفاجعة
بجيبيء زمان السقوط الاخير
ويقضي على الشوكة الجارحة
فقادتنا يجهلون علينا
يريدون أن نترك الاسلحة
الا انها شارة المذبحة

مجلات

« الثورة والجنس »

صدر الاسبوع الماضي العدد الثاني عشر من مجلة « مواقف » . والعدد حول « الثورة والجنس » وعن موقف « الحركة الثورية العربية من المرأة » . افتتح العدد هشام شرابي بمقال عنوانه « الثقافة والممارسة » ، تحدث فيه عن العلاقة بين الثورة والمثقف الثوري ، ومما اكده ان « اكبر تناقضات المثقف العربي ليس في انه لا يعيش الثورة كمقاتل ، بل في انه لا يعيشها كمثقف » .

وعن الاوضاع التربوية القائمة في لبنان ، كتب منير بشور مقالا ، ضمه تساؤلات واقتراحات .

وبعدد الثورة والجنس ، ترجمت المجلة مقالا في مفهوم الثورة للمفكر الماركسي الذي ذاع صيته في الاونة الاخيرة : هربرت ماركوز . وطرحت المجلة اسئلة على غادة السمان ، حول الثورة الجنسية والثورة الشاملة ، وقد اجابت الكاتبة عليها ، من زاوية النظر ايامها التي عبرت عنها في قصصها الاولى منذ عشر سنوات .

وفي المحور نفسه ، نشرت المجلة حديثا متبادلا بين كوستاس اكسيلوس ومارك بيار به ، حول دراسة الاول عن « التيه الاروسي » .

وتحدث عبد الله زخما عن فهمه لموقف اليسار العربي من المرأة : « الانظمة اليسارية والاحزاب اليسارية بما فيها الاحزاب الشيوعية » .

والى جانب هذا المقال ، مقال آخر لخالدة سعيد عنوانه : « المرأة العربة كائن بغره لا يدانه .. » تؤكد فيه على ان « واقع تحرر المرأة لا يمكن ان يتم بصورة منفصلة عن تحرر البروليتاريا . اذ لا وصول الى المساواة بين البشر في مجتمع منقسم الى مستغلين ومستغلين ، وان هذه القضية ينبغي ان تبحث على صعيد تحرير الانسان من كل وضع غير انساني » .

كما ترجمت المجلة مقاطع طويلة من كتاب ولهلم رايخ « الثورة الجنسية » .

وفي المجال الادبي نشرت « مواقف » مسرحية بفصل واحد للكاتب العراقي جليل القيسي عنوانها « غفارا عاد ، افتحوا الابواب » . وكذلك قصص فلسطينية لمحمود الخطيب عنوانها « ثلاثة قبور للمستحيلات » . فضلا عن دراسة كتبها عاطف فضول بعنوان : « قصص نجيب محفوظ الواقعية : تفسير اجتماعي » .

الشعر العربي الحديث في مجلة « الطريق »

صدر العدد الجديد من مجلة «الطريق» يضم محورا خاصا كبيرا عن الشعر العربي الحديث . في هذا المحور يقدم ١٤ شاعرا من ابرز الشعراء تجاربهم الخاصة في هذا المجال ، وشهادات عن مفهومهم لمعنى الحداثة في الشعر العربي . وهؤلاء الشعراء هم ؟ ادونيس ، بلند الحيدري، جورج غانم ، حميد سعيد ، خليل حاوي سلافة حجاوي ، صلاح عبد الصبور ، عبد المعطي حجازي ، عزالدين المناصرة ، فوزي كريم ، محمد الفيتوري ، ممدوح عدوان ، نزار قباني ، ولد سيف . وفي العدد نماذج جديدة من الشعر العربي الحديث وندوة حول قضايا الشعر العربي المعاصر ، تم معلومات دقيقة عن حياة واعمال كل من هؤلاء الشعراء .. وهذا ما يعطي عدد « الطريق » اهمية خاصة .

وفي العدد كذلك ، دراسة واسعة عن دور البرجوازية الصغيرة ، والطبقة العاملة الغربية في الحركة الثورية وحركة التحرر نحو الاشتراكية ، كتبها مشال كامل من مصر . بالاضافة الى دراسة تاريخية عن اسباب ونتائج احداث سنة ١٨٤١ ، في ضوء علمي .

لم يبارحه ، سيما وان بينه وبين الفتاة ، ما قد سمي ، قضية . فكلاهما يشكو انفصالا عن واقعه . وكلاهما يعاني من محدودية التاثير المباشر والسريع النتائج في العالم المحيط ، وذلك ما يثير حاجة كل منهما للاخر .

لقد جاءت هذه الرواية ، ببساطة فنية وان افتحمها الولع بالتجريب في بعض مطارحها ـ لتدين فكرة الهرب ، وتخطئها . لقد جاءت الرواية لتقول ان العالم الموضوعي ، وان نضالات الاخرين وعذابات الجماعة البشرية .. كل ذلك هو جزء من الضمير الشخصي . وان البحث عن طرق للخلاص الفردي ، بغض في التهاية الى اغلاق الكائن الانساني عن نفسه ، وعن سعادة الحياة .

ان الرواية ليست كما قال بها صلاح عبدالصبور ذلك ان قيمتها تتمثل في الاساس ، بكونها مبادرة ، وبكونها تفصح عن امكانية قابلة للنماء والتفتح . لقمة في الرواية اخطاء عديدة، تمنعها من ان تكون من « اهم الروايات التي صدرت في العالم العربي » . هناك شخصية الفتاة التي جاءت بملامح باهتة ، وبمواصفات مرسومة في ذهن المؤلف . ولم نستطع ان نتعرف على شخصيتها لا من خلال السرد ، ولا من خلال المواقف (سوى في موقف الاغتصاب الاخير) .

وقد كان من جراء تركيز المؤلف على الشخصية الرئيسية ، ان أهمل الشخصيات الاخرى ، بما فيها الضابط الجريح، الذي طرحه المؤلف بشكل كاريكاتوري ، ومواقف ملودرامية ، دون ان نعرف مرتكزات شخصية او بعضا من سياق حياته .

بالاضافة الى ذلك ، جاء الزمن الروائي سائبا ولم يستطع المؤلف ان يضبطه . صحيح ان الرواية تحصر احداثها المباشرة في عملية الهرب التي استمرت ثلاثة ايام ، لكن تيار الوعي او الداعي الذي باخذ معظم الرواية ، لا يحتمل ان يكون خارج هذا الزمن . وكما ان هناك علاقة لا تنفصم بين الحالة الحاضرة والذكرى بشكل متوحد ، كذلك فان الزمن لا بد ان يرافق هذا الاتحاد .

اما مسالة الانتقال من الذهن الى الداعي ، فقد بدت بسبب الافتاعها في بعض الحالات ، طريقة . بكفي ان يرى البطل ضوءا ازرق حتى يتذكر « ثوبها الازرق » واشياء عديدة اخرى . وبكفي ان يتنسم ابتسامة عادية عابرة ، حتى ينتقل الى ابتسامة ماضية كانت بعد ذاتها واقعة . ان حادثا مادنا خارجيا لا يبرر دائما الانتقال الى حالة نفسية تدخل في بعض تفاصيلها ، بعض تفاصيل الحادث الراهن المعاش . ان هذه ميكانيكية بابها الفن والانسان. فالدلالات النفسية لا تاتي من عناوين الحالة الخارجية دائما وفقط ، بل في ما تحمله الواقعة الخارجية في مادتها وسيالها من مردود نفسي وشعوري .

ان هذه الرواية ، رغم هذه العثرات ـ وربما بفضلها ـ تستحق القراءة والالتفات .

م. سفيان

« الرماد واللهب »

افتتح الخميس الماضي في « دار الفن والادب » ، المعرض الجديد للفنان حليم جرداق، وكان بعنوان « الرماد واللهب » .

ويقول جرداق : ان هذا المعرض يعبر عن تجربة جديدة متكاملة له. يستمر المعرض حتى ٢٥ شباط .

الداعي بان وكانه محض صدفة .

ان البطل ، الشاب المثقف بصحن اسباب هربه ، وهو ملتقى ضابطا عسكريا ، هرب بسبب ورطة سياسية ملموسة بعادتها . وقد اثاره اثر من مرة سؤال الضابط عن سبب هربه ما لم يخبر ولم يبادر الى ذلك ، بل كان الامر بالنسبة له سياسيا . لقد شعر البطل اثناء ذلك بالم لحس « شرف الهرب » . وشعر انه قد هرب من معركة هي غير قائمة . وتبدى له بوضوح ان « الاسباب النفسية الخاصة » لا تعطيه امتيازا

وذلك نجح المؤلف نجاحا لافتا ومؤثرا اذ اضاء شخصية البطل ، وعمل فيها رفضا وادانة . وذلك اكتسب البطل في انكفائه عن داخله وعما رضوبها اضافه الى وعيه الذاتي .

لقد كان لنا ان نعرف بان البطل قد مضى في طريقه الى ايران برفقة فتاته التي جهد في الفائه بالعدول عن ذلك ، بانه قد ولع اثناء ذلك في ازمة اخرى تضاف الى ازماته السابقة . فقد دفعه التدفق العاطفي الاسبان البطلة الى ان « يقتنصها » . وكان قد ظن انه بذل على مضاجعتها . لكنها كانت عذراء . ورغم انه لم يخبر ولم يبادر الى ذلك ، بل كان الامر لم يجها سوى لانه يكره زوجته السابقة . ولم « يتطاول » في علاقته معها ، سوى لانه اراد ان يقضي وقتا معها ، اخاربه ودفعه هي اليه . وذلك شدد على ان برفض الامحان . وتراكمت الاسباب لهربه . هذا ما يفصح عنه في حواره مع الضابط الجريح ، بعد موافف كاريكاتورية بينها ، استهلكت جوانب عديدة من الحوار . لان هذه الازمة تثقل ضميره ، وتطارده كالقلعنة البالية .

« ـ اندري باني رأيتها البارحة ؟

ـ البارحة !

ـ في الحلم ، كانت كاحدى بطلات نجيب محفوظ .. مكتنزة لحما ، وفي مخفر من مخافر الشرطة . كان جسدها يقطر دما من جميع اجزائه » .

وعندما يقرر الرجوع ، نستطيع ان نتبين سبب تردده في الاستمرار بمواصلة الطريق الى ايران . انه اولا التقى بضمره خارج ذاته ، على هيئة الضابط الجريح ، الذي كان مدعاة للعون . وثانيا لان هاجس الفتاة الى «اغتصبها»